



إيران تكلفة ما قبل المواجهة المسلحة

التقييم : ممتاز

2008/7/23

لا يعتقدن أحد أن تكلفة أي حرب تبدأ فقط عندما تبدأ تلك الحرب أو المواجهة. لقد أثبتت تجارب طويلة أن تكلفة الحروب تبدأ وتزيد في اللحظة التي تبدأ فيها الأطراف باستخدام الكلمة نفسها. تكلفة ربما لا يهتم بها الكثير ربما بسبب قدرة الدولة اقتصاديا أو بسبب الغرور القومي أو التفوق العسكري والسياسي إلى غير ذلك من الأسباب. أما وأن العالم اليوم يتحدث عن احتمال مواجهة عسكرية بسبب أزمة الملف النووي الإيراني، دعونا ننظر إلى التكلفة التي يدفعها العالم بسبب الحديث عن الحرب ..عن الحرب فقط.

بالنسبة لإيران فتحول البلاد إلى موقع متقدم من حيث تقييم الخطر فيها يعني تأثيرا كبيرا على مناخ الاستثمار فيها. في عالم اليوم ينظر غالبية المستثمرين إلى الاستقرار السياسي الداخلي والإقليمي المحيط بالدولة التي يراد الاستثمار فيها. هذه هي القاعدة، ومن هنا فإن زيادة توقعات الخطر بشأن دولة ما يعني تراجع الاستثمارات الخارجية. في الحالة الإيرانية فإن قطاعي البترول والغاز يحتاجان إلى استثمارات خارجية ضخمة تتجاوز 100 مليار دولار، وعندما تقرر الشركات المستثمرة الكبرى مثل شل وإخيرا شركة توتال الفرنسية التي انسحبت من اتمام مرحلة 11 من غاز فارس والذي يحتوي على 23 مرحلة، وانسحاب شركة توتال فإن قطاع الغاز الإيراني يخسر 11 مليار دولار. فإذا ما اضيف إلى ذلك عدم نجاح إيران في جذب الـ 60 مليار دولار من أصل 200 مليار دولار. يشار في هذا السياق ان حوالي 22 شركة اجنبية تنتمي إلى 9 دول غالبيتها اوروبية مشغولة في الاستثمار داخل إيران، الا ان غالبية هذا الشركات اما انسحبت او جمدت نشاطاتها بسبب الضغوط الاميركية على هذه الشركات، وقد خصصت وزارة الخزانة الاميركية قائمة سوداء للشركات التي لا تلتزم بقرارات العقوبات الدولية بل وحتى قرارات العقوبات التي تفرضها واشنطن نفسها، وهي عقوبات تحد من نشاطات تلك الشركات في الولايات المتحدة او حتى استخدام النظام المصرفي الاميركي. ان انسحاب الشركات العاملة من قطاعات حيوية كالغاز والنفط يترك اثاره السلبية على الداخل الإيراني وعلى الاسعار العالمية لما تنتج هذه القطاعات.

ان التكلفة الكبيرة التي تعكسها تقييمات الخطر حول الاستثمار في دولة لا تؤدي إلى جذب الاستثمارات الخارجية، وان حصل وتوجهت بعض الشركات فإن التكلفة العالية المترتبة على المخاطرة تجعل من الصعب الاستثمار، كما تدفع تلك الشركات للبحث عن بدائل أكثر استقرارا وقل تكلفة من الناحية الامنية.

اذا كانت التوترات السياسية تدفع الاستثمارات الخارجية للهروب، فإن تلك التوترات نفسها تدفع رؤوس الاموال الداخلية للهروب ايضا، وهو الامر الذي يضعف الاحتياطي الداخلي للدولة، من هنا فإن الحديث عن الحرب كثيرا ما يؤدي إلى انسياب اموال البلد المستهدف إلى بلدان امنة، حتى انه احيانا تقوم الدولة نفسها بنقل كثير من احتياطياتها النقدي خوفا من قرارات العقوبات وتبعاتها، وقد قامت إيران بنقل كثير من احتياطياتها إلى بنوك اسيوية لم تسم خلال الاشهر القليلة الماضية في خطوة استباقية لقرار العقوبات 1803.

ربما تكون أي حرب مكلفة بشريا وماديا لكن لا يجب التقليل من التكلفة الباهظة التي تدفعها الدول المستهدفة قبل الحروب، وهي تكلفة يبدو انها تأتي بسبب الشعور بالتهديد كما هو الحال في اسرائيل. ان العيش في ظلال هذا الشعور يلقي بظلاله على علاقة الدولة بمواطنيها، كما يدفع بالاجواء السياسية إلى حد التوتر المستمر الذي ينعكس من خلال تصريحات تتحدث عن العنف والرد بشدة على مصادر التهديد في محاولة لخلق حالة من الامن النفسي لدى المواطنين. في هذا السياق يجب النظر إلى الحرب الكلامية كجزء من حرب حقيقية لانها في الغالب تؤدي لان تدفع الدول ثمنا باهظا من مواردها حتى وإن لم تحدث المواجهة العسكرية.

mahjoob.zweiri@alghad.jo

محجوب الزويري